التأثير الإسلامي في الأدب الملايوي

بقلم: روسني بن سامة
ماليزيا

وصول الإسلام إلى أرخبيل الملايو:

كانت هناك رحلات ومراكز تجارية بين بعض بلاد الجزيرة العربية وأرخبيل الملايو من قبل الإسلام وفي صدر الإسلام. وأدى ذلك الاحتكاك إلى وصول الإسلام إلى أرخبيل الملايو في وقت مبكر.

ويرى س. ق. فاطي[١] أن الإسلام وصل إلى أرخبيل الملايو في القرن الأول الهجري بواسطة التجار المسلمين الذين ترددوا إليه. وأكدت قرارات ندوة العلماء والباحثين حول موضوع دخول الإسلام إلى إندونيسيا وآسيا[٢] أن الإسلام دخل إلى أرخبيل الملايو أول مرة في القرن الأول الهجري من بلاد العرب مباشرة وأن أول منطقة دخلها الإسلام هي سواحل سومطرة الشمالية ،وكان الدعاة الأولون بعضهم من التجار المسلمين العرب والفرس، وبعضهم من أبناء الشعب الملايوي[٣].

وأما انتشاره فقد أصبح واضحاً في القرن الثالث عشر الميلادي على يد الدعاة الذين ينحدر أكثرهم من أصلاب عربية. وكان معظمهم من الصوفية[٤]. وأول ما وصل إلينا من أنباء عن انتشار الإسلام في تلك البقاع ما جاء في رحلة ماركوبولو - MAR-COPOLO- الرحالة الإيطالي المشهور الذي زار شمال سومطرة في عام ١٢٩٢م، وأخبر عن وجود منطقة في شرق سومطرة مشهورة باسم برلاق - PERLAK - اعتنق أهلها الإسلام وكان فيها ملك مشهور باسمه الإسلامي وهو الملك الصالح، بجانب اسمه القديم ميرة سيلو - MERAH SILU - المتوفى سنة ١٢٩٢م[٥].

ثم زار هذه المنطقة ابن بطوطة الرحالة العربي المشهور الذي نزل في ضيافة الملك الظاهر وتحدث عن سلطان هذه الولاية وحرصه على إقامة شعائر الدين، واهتمامه بدراسة الفقه على مذهب الإمام الشافعي، ووصفه

أنه من فضلاء الملوك وكرمائهم. محب للفقهاء. يحضرون مجلسه للقراءة والمذاكرة. وهو كثير الجهاد والغزو. ومتواضع يأتي إلى صلاة الجمعة ماشياً على قدميه. وأهل بلاده شافعية. محبون للجهاد يخرجون معه تطوعاً. وهم غالبون على من يليهم من الكفار الذين كانوا يعطونهم الجزية على الصلح[٦].

أثر الإسلام في الأدب الملايوي:

كان اعتناق الملايويين للإسلام من العوامل التي أدت إلى انتشار الثقافة العربية الإسلامية وآدابها، ومن هنا برز التأثير العربي الإسلامي في حياة الملايو دينياً واجتماعياً وسياسياً وثقافياً وأدبياً مثل استخدام حروف الكتابة العربية، واختلاط مفردات اللغة العربية باللغة الملايوية، وانتقال الآداب العربية الإسلامية إلى الآداب الملايوية - نثراً وشعراً.

وقد استعارت اللغة الملايوية كثيراً من الكلمات العربية والمصطلحات الإسلامية وخاصة في المجال الديني لعدم توافر ألفاظ تدل على المعنى نفسه قبل دخول الإسلام. ويعد الدين الإسلامي عاملاً رئيسياً في إدخال الألفاظ العربية إلى اللغة الملايوية، ومن منطلق الاقتناع أخذ الملايويون المصطلحات الدينية من العربية كلها تقريباً حتى أصبحت من ضمن متن اللغة الملايوية، فقاموا بشرح معانيها ووضع تعريفات واضحة لها في المعاجم الملايوية وكتب الدين[٧].

القصة:

كانت قصة الأبطال الهنود مثل حكاية رامايانا - RAMAYANA - ومهابراتا - MAHABRATA - تحتل مكاناً مرموقاً في الأدب الملايوي قبل دخول الإسلام. وعندما جاء الإسلام إلى أرخبيل الملايو استخدم الدعاة مثل هذه القصة من القصص العربية للتغلب على التأثير الهندي في نفس الشعب الملايوي ،وهذه القصة لا تخلو من الإضافات الفنية من الخيال والمغامرات والسحر والأسطورة لتكون على طراز القصة الهندية[٨].

ولم تهجر القصة الهندية المشهورة في أول دخول الإسلام في أرخبيل الملايو بل إنها استخدمت وسيلة للدعوة بعد وقوع تعديلات بالإضافة أو الحذف منها أو بإعادة صبغتها بالصبغة الإسلامية، ومثال ذلك حكاية شاهي مردان فهي ملك دار الهستان اسمه فكراما داترياجايا، وابنه شاهي مردان الذي يتعلم الدين الإسلامي على يد برهم من دار الخيام. كما فيها ما يتعلق بالدين الإسلامي كالصلاة، وكانت عملية هذه التعديلات تتمثل في أن تحذف العناصر الهندية فيها، وتضاف مكانها عناصر عربية إسلامية، وتحل أسماء الأنبياء والملائكة محل أسماء آلهة هندية ثم تعوض بالشخصيات الهندية شخصيات إسلامية[٩].

وقد اجتهد الدعاة والوعاظ في تغيير تيار الأدب الملايوي الهندي القديم إلى تيار جديد إسلامي فنجحوا في تحويل مجرى الحكايات الهندية ومقاصدها إلى الاتجاه الإسلامي، وإدخال العناصر الإيمانية الإسلامية فيها، واستخدام الكلمات والمصطلحات الدينية والعربية أداة للتعبير مثل لفظ الجلالة، وملك الكون وخالق العالم، وأسماء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والقضاء والقدر.

ونذكر هنا بعض الحكايات الهندية المشهورة التي تم تغيير موضوعها ومواصفاتها ومغزاها الهندي إلى صورتها الجديدة بصبغة الثقافة الإسلامية والعناصر الإيمانية بعد تأثرها بالتيارات الإسلامية.

ومن هذه الحكايات:

١ - حكاية ماركرما - HIKAY-ATMARAKARMA- وتم وتغيير اسمها الهندي إلى اسمها الإسلامي الجديد هو «حكاية المسكين».

٢ - حكاية سرنجا بايا - HIKA-YAT SERANJABAYA- وتم تغيير اسمها الهندي إلى اسمها الإسلامي الجديد هو «حكاية أحمد محمد».

٣ - حكاية اندراجايا -HIKAYAT-INDERAJAYA- وتم تغيير اسمها الهندي إلى اسمها الإسلامي الجديد هو «حكاية شاهي مردان».

وفي أوائل العصر الإسلامي نالت القصص والحكايات مما له طابع بطولي وديني وتعليمي اهتماماً كبيراً من جموع الناس، فتعاقب دخول الحكايات التي تروى عن قصص الأنبياء وأبطال الإسلام والقصص التعليمية وقصص التزكية والزهد وحكايات التسلية والفكاهة، منها ما ترجم من المصادر العربية أو الفارسية أو الهندية، أو ما اقتبس منها، أو ما أعاد صياغته الجديدة الأدباء الملايويون[١٠]. وكذا وصلت قصص ما قبل الإسلام مثل قصة الإسكندر ذي القرنين وسيف بن

ذي يزن والأمير حمزة مما فيها من سمات البطولة[١١].

ويمكن حصر القصة المتأثرة بالأدب العربي الإسلامي في قصص الأنبياء وسيرة النبي محمد ﷺ ومعجزاته وغزواته ووفاته، وحكايات عن أصحابه، وحكايات عن البطولات الإسلامية، وحكايات عن الأولياء والصالحين، وحكايات عن الملوك المسلمين من مضمون كتاب ألف ليلة وليلة، وحكايات عن قصة الرمز مثل كليلة ودمنة[١٢].

وأما المؤلف وتاريخ التأليف للحكايات الملايوية القديمة فلا يمكن تحديده بسبب عدم إفصاح المؤلفين عن أسمائهم وتاريخ إنتاجهم، حتى إن الذين جاؤوا بعدهم لا يعرفون من الذي ألف هذا أو ذاك ومتى ألفه. ويرى عبدالصمد أحمد[١٣] أن معظم الحكايات الملايوية قد دونت في عهد الدول الإسلامية في مملكة ملقا في القرن الخامس عشر الميلادي التي كانت حينئذ مزدهرة بفنون الأدب المتنوعة، وكذا مملكة أتشيه في القرن السادس عشر الميلادي بعد سقوط مملكة ملقا حيث تمركز فيها العلماء والأدباء من العرب والفرس والهند وأبناء البلاد[١٤].

الشعر

عثر في الأدب الملايوي القديم قبل وصول الإسلام على أنواع متنوعة من الكلام الموزون ومن أشهرها بنتون - PANTUN- وسلوكا - SELOKA- وجوريندم [١٥] - GURINDAM- وبعد وصول الإسلام عرف الأدب الملايوي نوعاً جديداً من الكلام المنظوم الذي عرف باسم شعر - SYAIR- وكان للشعر العربي الصوفي فضل بارز في نشأته وازدهر في القرن السادس عشر الميلادي في أتشيه على يد حمزة الفنصوري الذي كان رائداً في إبداع الشعر الملايوي العربي الصوفي. وكان الفضل في ذلك يرجع إلى تأثره بالأدب العربي الصوفي من خلال قراءته العميقة وانطباعاته عن آراء كبار الصوفية [١٦].

وبدأ تأليف الشعر من سنة ١٥٥٠ حتى سنة ١٦٠٠ للميلاد، وكانت دواوينه الشعرية من أوائل ما كتب في الأدب الملايوي بالكلام المنظوم. وقد اقتبس واستوحى في إنجاز شعره من الأفكار الشعرية العربية وفنونها بالإضافة إلى إلمامه بالثقافة العربية والفارسية، وانتهج في أشعاره منهجاً صوفياً وتتميز أشعاره بالصبغة الدينية التي تتحدث دائماً عن الإيمان والعلاقة بين الإنسان وربه[١٧].

ومن صور الكلام الموزون المتأثر في الأدب الملايوي ما يسمى النظم NAZAM وهو يأتي على شكل أبيات ويشتمل كل بيت فيها على شطرين. وهو شبيه ببحر الرجز في الشعر العربي ومنها ما يسمى الغزل GHAZAL من أصل الكلمة العربية الذي ذكر في كتاب تاج السلاطين للبخاري الجوهري سنة ١٦٠٣ الميلادية، وكان الغرض منه نفس الغرض في الغزل العربي من تصوير أحاسيس الحب والعاطفة، استخدمه الشعراء الملايويون للنصائح أيضاً ■

الهوامش:

1 - See: S.Q Fatimi- Islam Comes To Malaysia - Msri Singapore - 1963 - P.99

٢ - التي عقدت في مدينة ميدان بسومطرة الشمالية في الفترة ما بين ١٧ - ٢٠ من شهر مارس سنة ١٩٦٣م برئاسة المؤرخ الأندونيسي محمد سعيد، وحضرها عدد من الباحثين وعلماء أندونيسيا والأجانب المهتمين بدراسة تاريخ الإسلام في جنوب شرقي آسيا.

٣ - انظر - محمد أحمد السنباطي - حضارتنا في أندونيسيا - دار القلم - الكويت، الطبعة الأولى - ١٩٨٣ ص ١٨٠.

4 - See: S.Q. Fatimi-Islam Comes To Malaysia - op-cit- p.100

5 - See: Sopian Taimon - Intisari Sejarah Asia Tenggara - Dbp. Cet. 1 1972 - p.-22

٦ - انظر - ابن بطوطة - رحلة ابن بطوطة - دار صادر - بيروت ١٩٩٢، ص ٦١٨

7 - See: Jamilah Bt.Hj. Ahmad - Kumpulan Esei Sastera Melayu Lama - Dbp. Cet. 1- 1981.p- 110

٧ - انظر - محمد زكي عبدالرحمن - أثر اللغة العربية في اللغة الماليزية - رسالة الماجستير - كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر - القاهرة ١٩٩٠ - ص ١٤٨.

8 - See: Ismail Hamid Asas Kesusasteraan Islam - Dbp. Kl -Cet. 1 - 1990 - p.81

9 - See: Bakar Hamid - Diskusi Sastera Tradisi - Dbp. Cet. 1 - 1974 - Vol. 1 - pp- 78 - 80

١٠ - انظر - محمد زكي عبدالرحمن - السابق - ص ٥٥

11 - See: A. Samad Ahmad - Sejarah Kesusasteraan Melayu - Dbp. Cet. 1 - 1965 - Vol. 2 - p - 18

12 - See: A. Samad Ahmad - Ibid- p. 41

13 - See: A. Samad Ahmad - Ibid- p. 52

14 - See: A. Samad Ahmad - Ibid- p. 10

15 - See: Ismail Hamid - Asas Kesusasteraan Islam -op - cit - p - 104

16 - See: Syed Mohammad Naguib Al Attas - The Origin Of Malay Syair - Dbp - Cet - 1 - 1968 - p.5

17 - See: Ismail Hamid - Asas Keesusasteraan Islam - op - cit - p. 106